حلقات إسلامية

٣

ثورة الإمام الحسين (ع)
وأبعادها

سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ثورة الإمام الحسين
وأبعادها

حلقات إسلامية
٣

ثورة الإمام الحسين (ع)
وأبعادها

سماحة الدكتور السيد محمد بحر العلوم

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

حقوق الطبع محفوظ للناشر

الطبعة الاولى

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤

المحاضرة التي ألقيت في جميعة آل البيت (ع)
في لندن
بتاريخ - ١٤٠٢/١٢/٢٨ هـ
١٩٨٢/١٠/١٦ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الأمين ، محمد وآله الطيبين الطاهرين ، وعلى صحبه المنتجبين من الآن الى يوم الدين .

وبعد :

ففي الايام القلائل المقبلة تطل علينا ذكرى ثورة الامام الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ بطل الابطال ، وامام المجاهدين ، ومثل الفداء في سبيل الدعوة الإسلامية . وجدير بنا ونحن نستقبل هذه الذكرى الخالدة ان نعيشها بكل ابعادها وقيمها ، طالما كنا دعاة حق ، وجنود عقيدة ، لنستلهم من شعاعها نوراً يضيء لنا طريق المسيرة ، وزاداً يساعدنا على بلوغ الهدف ، الذي من أجله ضحى ابو

الشهداء عليه السلام بنفسه ، اقتداءاً بالانبياء والمرسلين ، والاوصياء والصالحين ، اولئك الذين جاهدوا في سبيل الله ، وبذلوا النفس والنفيس من أجل تبليغ رسالته ، واداء المسؤولية في نشر دعوته الحقة ، فكانوا خير قدوة لمن سار على دربهم ، واهتدى بهديهم .

وسيكون منهجنا في الحديث كالآتي :

أولاً ـ الواقع المعاش قبل ثورة الحسين (ع) :

كان الواقع المعاش للأمة في الساحة الاسلامية ممزقاً الى درجة الارتداد قبل ثورة الامام الحسين (ع)، ومؤشراً على الانحراف عن خط الاسلام ، والبعد عن القيم الانسانية التي نادت بها الدعوة المباركة مما يشكل خطراً كبيراً على مسيرة الرسالة ، وتغيير مفاهيمها الاصيلة الى مصالح خاصية ، وكيانات متعددة ، تفقد عالميتها ، وسعة أفقها . وكان لا بد لذلك من سبب ، أو أكثر ، أو صلة الى هذه الحالة ، ويمكن ايجازها بالتالي :

١ ـ الانحراف الحاكم :

ولعل تاريخ الحقبة الزمنية ـ منذ وفاة الرسول الاعظم (ص) الى ثورة الامام الحسين (ع) ـ يوضح لنا ـ وبصورة غير مضللة ـ انحراف المسؤولين عن قيادة الامة عن الخط الذي رسمه صاحب الدعوة محمد رسول الله (ص) لممارسة الحكم ـ كأسلوب عملي لتطبيق حكم الله في مجتمع الاسلام ، وصفات الحاكم ـ التي تؤهله لتحمل مسؤولية القيادة واداء رسالة الدعوة ـ والانحراف بعدها في تطبيق القاعدة التي افترضها البعض من الصحابة في تسلم مسؤولية قيادة الامة ، والخلافة في الحكم من « الانتخاب » الى « التعيين » من دون مبرر سليم وعذر معقول ، فانه من غير الممكن قبول معاوية بن ابي سفيان وابنه يزيد ، ومن لف لفهما قادة ورواد مسيرة الدعوة الاسلامية ، وخلفاء على امة محمد (ص) في تطبيق العدل الالهي في المجتمع الاسلامي ،

وذلك لانعدام الشرعية في وصولهم الى مركز الحكم ، وانحرافهم الصريح لخط الدعوة في ممارسة الحكومة ، وكان منشأ هذا فرض عثمان ـ بالنص غير المباشر من الخليفة عمر ، وبالقوة التي سلطها على رقاب من يتخلف عن رأي أحد المرشحين الستة ـ كما فصّله المؤرخون في موضعه من التاريخ ـ.

أما معاوية فقد أعد نفسه لاغتصابها منذ مقتل عثمان ، ثم عمل على سلبها من الامام علي فلم يتمكن ، واخيراً اغتصبها من الامام الحسن بالارهاب والعنف وفرض نفسه فرضاً بما ملكه من قوة الترغيب والترهيب ، وكذلك ولده يزيد ـ برغم انه لم يملك صفة واحدة تؤهله لهذا المركز ـ فان معاوية اراد تغيير مفهوم الخلافة الى حكم وراثي كسروي قيصري .

ومن الطبيعي ان تواجد مثل هذاالحاكم المنحرف في سدة الحكم يحتاج الى سلوك طرق معقدة غير سليمة للوصول الى تحقيق الغاية

الملتوية وبذلك يكون الانحراف عن خط الاسلام في اختيار الحاكم مما لا بد منه ، وهذا ما حصل بالفعل .

٢ ـ تسلط فئة معينة لادارة النظام :

والحاكم الذي يتسلم الحكم يعتمد ـ بالدرجة الاولى ـ على اصفيائه ، ومقربيه اعتقاداً منه بأنهم الذين خبرهم وخبروه ، وعرفوا آماله وطموحاته ، كما أطلع على آمالهم وطموحاتهم ، ومن خلال هذا التعامل والتفاعل ، يتهيأ لكل من الطرفين تحقيق الغاية . واتساقاً مع هذا فعند وصول احد هؤلاء الحكام الى سدة الحكم ، كانت فئة معينة من آل أبي معيط ، وآل أبي سفيان ، قد تشبثت بجهنن الحكم ، وأصبح النظام يرزح تحت كابوس حكم القبيلة المنحرفة عن خط الاسلام ، والتاريخ يتحدث ، وبكل صراحة عن هذه الحقبة بما يندى له الجبين ، وكيف ان النظام الاموي اخذ يلغ في

دماء المسلمين ويستحل المحارم ، ويهتك الاعراض ، ويستبيح الحرمات ، ويقتل الابرياء ، لا لذنب إلا لأنهم من صفوة الامة المؤمنة ، ودعاة الاسلام ، وحماة عقيدة الدعوة .

وهذا الاسلوب الغاشم في ادارة الحكم يفرض سيطرته على الامة ، لأنه لم يتوان عن قمع وامتهان الانسان الملتزم تحت طائلة الالتزام بمبادئه وعقيدته ، وتطبيقاً لهذه السياسة الحمقاء الحاقدة كانت مهمة جلاوزة النظام تصفية المعارضة وبأية وسيلة كانت ، حتى ان التاريخ يحدثنا بأن ضحاياعدو الله معاوية قد يزيد على مائة الف شهيد ، استهدفهم ، لانهم لم يؤمنوا بحكمه ، ويستجيبوا لبيعته ، وكلما تقادم به العهد كان يدفع بآله وقبيلته الى التسلط على جهاز الحكم اكثر فأكثر ، ليضمن استمراريته وان كان على جماجم الشهداء من المسلمين ، وصدق رسول الله (ص) حين قال ، وهو يشير الى هذه الحقبة السوداء : « . . . رب يوم لأمتي

من معاوية . . »[1].

٣ ـ كراهية الحرب :

والحروب الثلاث القاسية ، التي عانى منها المسلمون في عهد الامام أمير المؤمنين علي (ع) خاصة ، قد تركت في نفوس السواد كرهاً للحرب ، ومقتاً لها ، بحيث أنعكس ذلك على سلوكيتهم في مجابهة الامامين علي والحسن ـ عليهما السلام ـ في عدم رغبتهم بالحرب وإيثارهم العافية والاستسلام ، حتى وان كان ذلك مخالفاً لله ، مما اضطر الامام علي (ع) ان يلملم آلامه في محاربة معاوية ، الخارج على إمام زمانه ، كما لجأ الامام الحسن على عقد (اتفاقية ـ هدنة) مع معاوية ، ورجع الى المدينة المنورة ، وقد طوى في نفسه أمل مقارعة الباطل من طريق الكفاح المسلح .

وسواء كان هذا الشعور نابعاً من كراهية

---

(١) ابن ابي الحديد ـ شرح النهج : ١/٧٩٤.

ذاتية للحرب في نفس الانسان المسلم أو كان نتيجة عوامل ايحائية بثتها أجهزة معاوية ، الى درجة التركيز ، فقد تشبعت في نفوس السواد الاعظم من المسلمين روح التخاذل والانطوائية ، حتى كاد يؤدي الى فقدان الثقة بقدرة القيادة الصحيحة ، وكان هذا العامل ينمو بمرور الزمن ، ويقوى مما أستفاد منه النظام الحاكم ، واخذ يوسع قاعدته الانتهازية على أساسه ، حتى بلغ الأمر بمعاوية ان يخرج نظام الحكم من اطاره الديني الى حكم وراثي ، مع غض النظر عن الصفات والمؤهلات الخاصة ، سوى ان المرشح لرئاسة النظام هو ابن معاوية ، ووارثه ، وليكن الملك واحداً من مواد الارث ، ما دام الناس قد ضجروا من الحرب ، وان وصية الانفلات الديني قد ترسخت في نفوس السذج من المسلمين ، حتى كادت المقاومة الدينية تكون معدومة باعتبار فقدانها للقيادة . والقيادة بدورها لا تريد المجازفة بأرواح الصفوة

المؤمنة التي تندفع للجهاد وراءها ، نظراً لكونه واجباً شرعياً ، ونتيجة لهذا وذاك حصل التسيب الجماهيري .

هذه السلبيات الثلاث التي سيطرت على المجتمع الاسلامي حينذاك أدت الى عدة عوامل ذات أثر خطير في واقع الانسان المسلم ، وهي :

الاول ـ ضعف الوازع الديني :

وحيث كان الحاكم ، كانت سلوكية غالبية الجماهير تبعاً له ، انطباقاً للقول المشهور « الناس على دين ملوكهم »، والنظام الاموي من حين تسلمه الحكم ، كان الجانب الديني عنده ملغياً فقد عمل جاهداً على ابعاد الجماهير عن التمسك بالدين ، أو بالاقل انشاء اللامبالاة في المثل والقيم الدينية ، ليسهل عليه التسلل الى نفوس السذج والرعاع من الناس ، سواء كان ذلك بالترغيب او الترهيب ، وهو لا يبالي ان

يحقق ذلك بأي أسلوب كان ، المهم عنده اظهار الطاعة لنظامه ، والامتثال لأوامره ، وسحق كل من يختلف عنه في قبول حكمه ، يقول مرة لسفيان بن عوف الغامدي ـ أحد قادة جيشه ، وهو يكلفه بمهام عسكرية : « فاقتل كل من لقيته ممن هو ليس على مثل رأيك ، وأخرب كل ما مررت به من القرى ، وأحرب الأموال ، فان حرب الاموال شبيهة بالقتل ، وهو أوجع للقلب »[1].

وبهذا الأسلوب الطائش يدعو معاوية الجماهير الى قبول نظامه ومبايعته ، وان كان على مضض وكره وقبولهم هذا ـ مهما كانت دوافعهم ، مع علمهم بمخالفته للشرع ـ يفسر عن ضعف الوازع الديني في النفوس ، وإلا فاين الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ثم أين الجهاد ؟ واذا تفشى هذا الضعف في افراد

---

(١) ابن ابي الحديد ـ نهج البلاغة : ٢/٨٥ ـ ٨٦.

المجتمع كان وبالاً خطراً يهدد الكيان العام للدعوة بالانحراف ، والارتداد . والامويون أنفسهم لم يظهروا الاسلام إلا سعياً وراء مصالحهم الشخصية[1]، وهم له ساعون ، لأن مصالحهم السياسية تقتضي ابتعاد الجماهير عن العقيدة ، اذا لم يمكن تذويبها من النفوس . يقول الجاحظ : ان معاوية « اول من ابتدع وبشكل سافر ـ في التاريخ الاسلامي ـ نظماً وتقاليد بعيدة عن الاسلام »[2].

الثاني ـ تذبذب المقياس الاخلاقي :

والاخلاق ـ في نظر الدعوة الاسلامية ، أحداحدى الجوانب الانسانية التي اهتم بها اهتماماً كبيراً ، لانه يمثل الواجهة الكمالية

---

(١) د. حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام : ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

الجاحظ ـ رسالة في معاوية والامويين : ١٦ تحقيق عزة العطار .

لافراد المجتمع الانساني ، قال الامام الصادق (ع): « ان الله ارتضى لكم الاسلام ديناً فاحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق »[1] وان القيم الاخلاقية الإنسانية لكل فرد هي التي تحدد علاقاته بالاخرين ، فاذا كانت هذه القيم نابعة من الايمان الصادق ، فهي تعكس فاعليتها ايجاباً بعيداً عن الانفعالات الشريرة والمؤثرات الحاقدة ، قال رسول الله (ص): « ما يوضع في ميزان امرىء يوم القيامة أفضل من حسن الخلق »[2].

وكان من أهم مبادىء النظام الاموي ابعاد الجماهير عن هذه السمة المميزة ، وحرفها عن طاقتها الخيرة الى أنانية ، وعلاقة هامشية بالآخرين ، وتجريدها من مفهومها الاصيل وابقائها مجرد صورة فجة لا طعم فيها ولا ثمر . واذا اصبحت مجرد شعار ، فانها تفقد دافعيتها

(١) الكليني ـ أصول الكافي : ٢/٥٦.

(٢) الكليني ـ المصدر المتقدم : ٢/٩٩.

الانسانية ، وتأثيرها في سلوك الشخصية ، ولذا نرى الامام الصادق (ع) يؤكد على السيطرة الذاتية فيقول : « وأجعل نفسك عدواً تجاهده »[1] وهو يريد بالنفس هنا ملكاتها الوضعية .

وبقيت غالبية الجماهير المسلمة تعاني من تذبذب في مقياس اخلاقياتها نتيجة انهيار الاخلاق في المجتمع الاموي الحاكم ، والذي كان همه الاساسي البقاء في السلطة ، كما يصرح بذلك زعيمه معاوية بن أبي سفيان ، عندما خاطب أهل الكوفة بعد اتفاقية الهدنة مع الامام الحسن (ع) : « يا أهل الكوفة : أترونني قاتلتكم على الصلاة ، والزكاة ، والحج ؟ وقد علمت انكم تصلون ، وتزكون ، وتحجون ،

---

(١) الشيخ محمد أمين زين الدين ـ الاخلاق عند الامام الصادق : ١٧ عن أصول الكافي : حديث ٧، باب نوادر الاستدراج .

ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم »[٢]. قالها معاوية بصراحة واصرار ، وبها تنكشف نواياه ، وطموحاته ،وتبعاً لها تذبذبت المقاييس الاخلاقية العامة ، بحيث صارت سمة بارزة للمجتمع حينذاك .

الثالث ـ تدني مستوى الشعور بالمسؤولية :

ومن ترسيخ العاملين السابقين ـ ضعف الوازع الديني ، وتذبذب المقياس الاخلاقي ـ في نفوس الغالبية من المسلمين في تلك الفترة ، نشأ عامل ثالث لا يقل خطورة منهما ، ذلك هو تدني مستوى الشعور بالمسؤولية ، كنتيجة عملية لاندماج الجماهير الساذجة في مجتمع تسوده اللاإلتزامية الدينية ـ واذا اردنا أن نحسن الظن فالصورة السطحية للالتزام الديني ـ لأن معاوية كان يحرص دوماً ان يكسب نظامه طابع الشرعية حتى انه طرح فكرة « الارجاء » لهذا الغرض .

---

(٢) ابن ابي الحديد ـ شرح النهج : ١٦/٤ .

وأنتشرت « المرجئة » في الساحة الاسلامية وهي تعلن بأن الايمان لا تضر معه معصية ، على أساس ان الايمان عمل قلبي خالص ، ولا يحتاج الى التعبير عنه بفعل من الافعال ، ولذا فلا تنافي بينه وبين عمل يقوم به الانسان في الظاهر حتى وان كان منافياً للدين[1].

ورغم ان هذه الفكرة لم تنطل تماماً على قسم من الجماهير الاسلامية ولكنها أثرت في الكثير من السذج والعوام ، وانطلى عليهم هذا اللون من التضليل الديني ، الذي ابتدعه معاوية لترسيخ نظامه ، وتوطيد سياسته . وان انتشارها أثر في الجماهير الى درجة انقسامها الى ثلاثة اقسام :

أ ـ السواد التابع للنظام الاموي برر أعمال العهد حتى وان كانت منافية للاسلام

---

(١) ابن ابي الحديد ـ نهج البلاغة : ١/ ٣٤٠ ولزيادة الايضاح راجع : محمد مهدي شمس الدين ـ ثورةالحسين : ١١٥ .

وخارجة على قيمه ومثله .

ب ـ الاقلية التي لم تؤمن بصلاحية النظام الاموي كقاعدة للحكم ، سكتت على مضض عن المجابهة ، لأنها لم تملك القدرة على مقارعة الباطل ، أو هي لم تهيأ نفسياً للكفاح المسلح ضد السلطة لتقويمها ، وتعديل مسيرتها .

جـ ـ الصفوة المؤمنة التي ترى في النظام الاموي اغتصاباً للحكم من اصحابه الواقعيين وعدم شرعيته ، وهؤلاء لم يبق منهم معاوية إلا عدداً قليلاً ، بحيث لا يستطيعون النهوض بعملية تغييرية تجثث فيها النظام الاموي الفارض سيطرته بالعنف والبطش ، والقوة ، والاضطهاد .

ولا بد لمثل هذه الحالة السائدة في المجتمع ان تبدو ظاهرة تدني مستوى الشعور بالمسؤولية في الانسان المسلم ، وتمييع مظاهر الالتزام في الشخصية الاسلامية وبالتالي ابقاء النظام القائم

بهيكله المنحرف عن خط الاسلام ، حتى وان عرض الدعوة للانهيار ، وطمس معالمها الحياتية البناءة .

ثانياً ـ ثورة الامام الحسين (ع) :

وبعد اغتيال الامام الحسن ـ عليه السلام ـ بالسم من قبل معاوية عام ٤٩ هـ تولى الحسين بن علي (ع) إمامة المسلمين ، وكان معاوية في أوج سلطته ، يرعب الامة بسطوته وجبروته ، وظلمه وعسفه ، وتطاوله على الاسلام بسبب الامام علي ، وولده الحسن (ع) واثارة الضغائن ، والاحقاد القبلية ، والاقليمية بين المسلمين ، واطلاق ايدي جلاوزته تعبث فساداً في الديار الاسلامية ، وتقتل الابرياء ، وتهتك الاعراض ، وتنهب الاموال مما سبب كره المسلمين له ولأسرته الحاكمة ، وغطرستهم ، وكبريائهم ، ونزوعهم للروح الجاهلية المقيتة ،[1] وهو بهذا الطغيان الحاقد ، وانحرافه

(١) د. حسن ابراهيم ـ تاريخ الاسلام : ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

الصارخ عن الدين قد زاد نقمة المعارضة عليه واضطرها للخروج عن صمتها ، رغم تنكيل معاوية لهم بأنواع التنكيل ، وكان الامام الحسين عليه السلام يعمل على تغذية روح المعارضة ، وتقوية عودها ، حتى اصبحت حدثاً ظاهراً يقض مضجع النظام الاموي .

ومهما تكن « طبيعة السلطة السياسية التي يدور محورها حول عائلة معينة وتتحد شخصيتها السياسية وفق مقتضيات مصلحة العائلة الحاكمة ، لا تستطيع قطعاً الارتقاء لمنهج الاسلام في الحكم ، وهو منهج اممي عالمي يخرج عن الدوائر المغلقة للعائلة والقبيلة ، والقوم ، والعشيرة ، ويتجاوزها ويتخطاها ، لانه منهج يقوم اساساً على تحرير الانسان ـ لكونه انساناً ـ من كل اشكال العسف الاجتماعي ، والاقطاع السياسي ، والتفاوت الطبقي المشين الذي يفرزه الحكم العائلي »[1] .

(١) د. عبد الله النفيسي ـ عندما يحكم الاسلام :١٠٨ .

وظهرت أول انتفاضة اصلاحية في وجه النظام الاموي بزعامة حجر بن عدي بعد عامين من وفاة الامام الحسن (ع)، وبتوجيه من الامام الحسين (ع)، ولكن معاوية لم يتوان عن استعمال العنف والقسوة مع اقطاب هذه الحركة، فقتلهم، وشتت جمعهم، ورغم اخفاقها فانها أثارت الرعب والهلع في كيان النظام الاموي.

ومرت عشر سنوات سود على المسلمين بعد مقتل حجر والصفوة المجاهدة معه، ولاقوا فيها من الظلم والارهاب ما يعجز عن وصفه البيان، الى جانب احياء النزعة القبلية والعنصرية واستغلالها بصورة مثيرة ومرعبة، ربما تعود عليه بتحقيق مآربه منها، وذلك من خلال تصادمها فيما بينها وضرب بعضها بعضاً [1].

ولم تقف هذه السياسة الجائرة عند موت معاوية عام ٦٠هـ، وانما تبناها يزيد عند استلامه

---

(١) - راجع لزيادة الاطلاع في هذا الصدد: الشيخ محمد مهدي شمس الدين - ثورة الحسين: ٨٤ - ١٠٤.

الحكم بعد ابيه رغم معارضة الكثير من المسلمين في قبوله لمثل هذا المركز الخطير ، وذلك لفقدانه الصفات والمؤهلات التي ترشحه لهذا المنصب الديني ، فقد أكد أغلب المؤرخين على ذم يزيد بن معاوية ، وعدم التزامه بما حرمه الله ، ومنع من ارتكابه الاسلام ، وتهاون بكل واجبات الدين فلم يتقيد بأوامر الرسالة ونواهيها [1].

وكان على الامام الحسين (ع) ان يقوم بأية حركة تهز ضمير الجماهير بصفته الامام المسؤول لدور قيادة الامة ، وانه لو سكت ، او تغاضى عن هذا الموقف - مهما كانت الاسباب والمبررات - لعادت الجاهلية الرعناء بكل ماضيها السيء ، وآثامها الاجرامية الى الساحة من جديد ، ولبرزت الردة عن الاسلام بشكل واضح لا مواربة فيه .

ومن هذا المنطلق تفجرت ثورة الامام الحسين عليه السلام ، وسط ذلك الجو القاتم الذي خلقه

---

(١) - المسعودي - مروج الذهب : ١١/٣ وابن طباطبا الطقطقي - الفخري : ٨٣.

معاوية ، ومن بعده يزيد ، فاذا كانت الظروف العصيبة التي مرت بالامام الحسن قد أضطرته لعقد هدنة مع معاوية ، على ان ينتظر الفرصة لبناء جيشه فيحارب الباطل فان العهد الجديد ما كان ليسمح للامام الحسين (ع) باتخاذ نفس الموقف السابق ، فان روح التخاذل ، والانهزام ظهرت في واجهة المجتمع الاسلامي كظاهرة خطيرة تعبر عن واقع الانهيار النفسي الذي شمل الجماهير الاسلامية ، وأحالها الى قبول بالامر الواقع حتى وان كان ذلك مخالفاً لحقيقة الدعوة .

وكان التحرك العاجل الذي تمثلت فيه الارادة البطلة الرائدة انطلاق ثورة ابي الاحرار ، وبطل الاسلام الخالد ، الامام الحسين (ع)، وهي في واقعها قد مثلت جانبين مهمين على صعيد التقييم :

الاول ـ الجانب القيادي :

وهذا ما يختص به الامام الحسين (ع)، ولتحليل موقفه الثوري ، ودوافعه الفدائية يقول عليه السلام :

« إني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا مُفسداً ، ولا ظالماً ، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدِّي ، أرُيدُ أن آمر بالمعروف وانهى عن المنكر ، فَمن قَبلني بقبولِ الحقِ فالله أولى بالحق ، ومَن رَدَّ عليَّ هذا أصبرُ حتى يحكم الله بيني وبين القوم بالحق ، وهو خيرُ الحاكمين » .

وهذه الكلمات القليلة الموجزة رسمت الخط البياني للاسباب التي دفعت بالامام الحسين للثورة ويمكن استخلاص النقاط الاساسية منها ، وهي بايجاز :

١ ـ المسؤولية القيادية :

ان الحسين بحكم موقعه الديني كإمام وقائد لمسيرة الدعوة الاسلامية ـ تولى مسؤولية الامة بعد اخيه الامام الحسن ـ له ان يختار الطريق الذي يراه مناسباً في مقارعة الباطل ، ومحاربة الطغيان ، وانه في هذا الموقف الثائر لم يخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ، ولا ظالماً ، وانما خرج لطلب الاصلاح في

أمة الاسلام ، والحفاظ على رسالته الخالدة ، تلك الرسالة التي جاء بها جده النبي محمد (ص) ولم يكن دافعه في ثورته حبُ السلطان ولا الاستيلاء على الحكم من أجل التفاخر بالسلطة ، انما هو الاصلاح الذي ينشده كل مصلح عظيم من أجل المبادىء البناءة ، والقيم العالية ، والشعور الكامل بتحمل المسؤولية القيادية في مسيرة الدعوة ، وفي اللحظات الحاسمة ، والمرحلة الدقيقة التي تمر بها الرسالة . والايمان الراسخ ، والعقيدة الصلبة في تحديد اهداف الحركة الاصلاحية التي ينشدها قائد مثل الحسين بن علي (ع)، الذي هو من الرسالة كالشمس المشعة بالنور ، والمنبع الزاخر بالعطاء .

٢ ـ هدف الثورة :

ولقد حدد الامام الحسين (ع) هدفه في الكلمات المتقدمة ، والتي رسمت الخط البياني لثورته الاصيلة ، انه يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وهو واجب ديني فرضه الله على كافة المسلمين ، ويترتب عليه الثواب والعقاب ، الثواب

لمن قام بادائه ، والعقاب على من قصر عن ادائه ، قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »[1]. وهذه الآية صريحة في دعوة المسلمين لتحمل مسؤولياتهم الدينية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه الاسلوب الواقعي العملي في اداء الرسالة ، وتبليغ الدعوة ، باعتبار ان الامر بالمعروف هو الحق والخير ـ وهما طريق الفلاح والفوز ـ والنهي عن المنكر ، هو الشر والفساد ـ وهما طريق الهاوية الى الحضيض ، والقرآن عندما يحث المسلمين على الالتزام بتبليغ الرسالة انما يهدف في الحقيقة الى انارة السبيل للانسان بالحق والخير ، ونهيه عن العمل الشر والفساد ، كل ذلك لضبط سلوكيته من الانهيار والانحلال الاجتماعي ، وتقويمه بما يصحح مسيرته الانسانية ، ويقوي ايمانه بسمو هدفه في بناء مجتمع سليم . قال رسول الله (ص) « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فان

(١) ـ آل عمران ـ آية : ١٠٤ .

لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان »[1] ، وفي حديث آخر : « ان الله يبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له ، فقيل : وما المؤمن الضعيف الذي لا دين له ؟ فقال : الذي لا ينهى عن المنكر »[2].

والحديثان الشريفان فيهما الصراحة التامة بأن أسلوب الدعوة يرتكز على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن الفريضة الشرعية تقتضي قولة الحق ، ونكران الباطل من انسان لا تأخذه في الله لومة لائم ، ومن هذا المنطلق نرى الامام الحسين (ع) وهو يحدد دوافع ثورته العظيمة بأنه يطلب اصلاح الامة وصلاحها ، وذلك عن طريق الامر بالمعروف وهو ارشاد الامة الى طريق الصواب والحق ، ونهيها عن سلوك المنكر وهو الانحراف عن خط الاسلام .

٣ ـ التصميم والتضحية :

والامام الحسين حين أعلن موقفه الرسالي

---

(١) و(٢) الحر العاملي ـ وسائل الشيعة : ٦/٣٩٧.

بكل إيمان وثبات ، وصلابة ، كان منطلقاً من موقع المسؤولية القيادية للامة في مسيرتها ، وحدد هدفه في هذه الثورة الاصيلة ، وهي اصلاح الامة بعد بروز ظاهرة الانحراف ، نتيجة تسلط الحكام المنحرفين عن الاسلام ، وهو المسؤول عن امة جده محمد (ص) صاحب الدعوة الاسلامية ، واصلاحها آمراً بالمعروف ، وناهياً عن المنكر ، غير هياب لما يترتب على هذا الموقف الرسالي من مخاطر ومشاكل ، فالقائد مسؤول ولا بد ان يضع امام عينيه عظمة الهدف ، وسموه ، فتصغر نحوها كل جسامة خطب ، وَفادحة أمة ، فانه في سبيل الله نهض بعبأ هذه المهمة ، ولذا فهو لا يبالي سواء قبله القوم ، او لم يقبلوه فالله أولى بالحق والقبول ، وهذا هو التصميم ، ثم يصبر على ما سيناله في سبيل اداء هذه الرسالة ، ويجعل الله خير حكم بينه وبين من لم يقبله بالحق . وهذه هي التضحية الفريدة ، والنبل في الغاية ، والسمو في القصد ، وهي سمة دعاة الحق ، انه الجهاد بالنفس ، والبذل في النفس

أقصى غاية الجود .

واذا كان الامام الحسين (ع) يرى بثاقب رأيه ان المجتمع الاسلامي قد اصابته لوثة الانحراف عن خط الرسالة ، وان ضمير الجماهير قد خدره النظام الاموي بالترغيب والترهيب ، وان هذه الظاهرة لو استمرت واتسعت في الساحة الاسلامية لكان ذلك الامل الواسع الذي فجره رسول الله (ص) لانقاذ الامة من الجهالة والشقاء ، يعود فيخبو من جديد ، وهو لا زال طري العود ، تتردد فيه الحياة ، وانه بحاجة لهزة عنيفة تزيح عنه هذا الكابوس الخطير وبحكم موقعه القيادي ، وانه امام الامة لا بد ان يندفع في خضم هذا الطغيان ثائراً ، هادفاً ، مصمماً على التغيير الشامل مهما كلفه الامر ليعيد مسار الدعوة الى وجهته الصحيحة السليمة . وما دام الانسان صانع التغيير البناء ، وصاحب القدرة في اختيار الواقع الذي يريده ، وله الارادة الكاملة في قبول أو رفض ما تنعكس على المجتمع ، من ايجابيات او سلبيات لها تأثيرها على سلوك الفرد

والجماعة ، ولها ارتباطها الزمني وجذورها التاريخية بقضية التغيير ، فان الحسين بن علي (ع) هو بطلها ، ومفجرها ، ورائدها ، ولا يهمه ما يترتب على ذلك فالبطل القائد لا يفكر بمصيره بقدر ما يهمه انتصاره في حركته ، مع انه يعلم مسبقاً بالمصير الذي ينتظره فهو يوضح تلك النهاية لبعض اصحابه فيقول :

« وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام ، لاستخرجوني حتى يقضوا بي حاجتهم »[1]. ومرة اخرى يقول : « والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي »[2].

والحسين صاحب رسالة ، وقائد أمة لايرهب الموت ، فالتضحية من مقومات القائد الرسالي وفعلاً ضحى الحسين بنفسه من أجل ثورته الاصلاحية ، والتي هدت صروح الظلم والطغيان على امتداد العصور.

---

(١) و٢) الطبري ـ تاريخ الامم والملوك : ٤/٢٨٩ و٢٩٦
وابن الاثير ـ الكامل في التاريخ : ٣/٢٧٥ ـ ٢٧٦
والدينوري ـ الاخبار الطوال : ٢٢٣.

الثاني ـ الجانب التعبوي :

وهذا الجانب يختص بالصفوة المجاهدة من أصحابه ، الذين آمنوا بدعوته ، وذابوا فيها ، فالتفوا بها ، وحاربوا مع امامهم الحسين ، وضحوا بأنفسهم كما ضحى قائدهم بعقيدة وثبات وصمود وصبر .

والحسين (ع) عندما صمم على الثورة ضد الطغيان ، وقرر التوجه الى الكوفة ليتخذ منها مركزاً لحركته الاصلاحية ، وبناء على طلب رؤسائها ووجهائها لم يصطحب معه جيشاً كبيراً ، وحشداً ضخماً للحرب ، وانما خرج من الديار الحجازية ، ولم يكن معه الا بضعة نفر من اهل بيته واصحابه ، قد لا يتجاوزون المائة ، مع من لحق به في الطريق وحتى نزل بهم في كربلاء ، وقابل معهم جموع جيش النظام الاموي ، والذي تعدى الآلاف ، بكامل عدتهم وامكاناتهم الحربية ، وكان من الواضح ان التكافؤ الكمي بين الطرفين متفاوت جداً ، بحيث لا يصل الى درجة المقارنة والقياس ، ولكن

اصحاب الامام الحسين (ع) كانوا يحملون في اعماقهم روح البطولة والايمان وحتى ساعة الشهادة ، لم يزعزهم الموقف ، ولم يرعبهم الموت ، انما كانوا يتساقطون بين يديه بعد دفاع مرير ، ووجوههم مشرقة ، ونفوسهم راضية ، وشفاههم تفتر بآخر كلمة امام قائدهم : يا ابن رسول الله أوفيت ؟ وتخمد الانفاس . . .

قد يكون في معايير الحرب ضرورة تكافؤ المتحاربين في الكم والكيف ، ليكون التقييم سليماً بين الكفتين ، وقد يكون هذا السبب الرئيسي الذي دعا الامام علي (ع) إلى تأجيل فكرة معاودة الحرب مع معاوية بعد معركة النهروان ، فان السواد الاعظم من جيش الكوفة تخاذل عن الاستعداد لحرب معاوية ، ولم يبق مع الامام إلا صفوة لا يمكن بحال من الاحوال القيام بهم في حرب مع جيش الشام الذي يبلغ الآلاف وانه عليه السلام عرف مسبقاً ان مصير هذه المجموعة التي يدفعها للحرب القتل لا محالة وليس هناك ما يبرر له هذه المغامرة ،

ولعله يتمكن بهذه الصفوة ان يغير وجهة المجابهة مع معاوية بأسلوب اخر غير الكفاح المسلح ، وهو تنمية الوعي الديني الجماهيري ، وكشف انحراف النظام الاموي عن خط الاسلام ، وتعريته سياسياً ، فسبقه الاغتيال من تنفيذ ما اراد . وكذلك الامام الحسن (ع) فانه سلك نفس الاسلوب الذي اراده أبوه الامام علي(ع) مع معاوية فانه ـ وبعد خيانة جيشه ـ لاحظ انه سيغامر بالبقية الباقية من المؤمنين ، وعندها تخلو الساحة الاسلامية من عناصر مخلصة قيادية مجاهدة ، تتمتع بقابلية لتحمل مسؤولية الارشاد الديني ، وتوعية الجماهير بانحراف معاوية عن مسيرة الدعوة ، وكشف مخططاته اللاانسانية .

وعلى هذا فان عنصر التكافؤ الكمي بين الطرفين المتحاربين له أهميته ، وحسابه في مضمار الحرب ، والتقابل المسلح ، خاصة وان ذلك كان في عصر ، العنصر المقاتل له قيمته وذلك لفقدان الآلة العسكرية ـ كما هو الحال في مثل هذا اليوم ـ.

لكن الموقف عند الامام الحسين (ع) اختلف تماماً ، فهو لم يعتبر عنصر التكافؤ العددي له أهميته في ثورته ، أو على الاقل ، لم يكن هذا الامر في حسابه من الاهمية بحيث يوقف تصميمه ، ويحدد عزمه على النهضة الاصلاحية ، والتي سيضطر حتماً ـ حسب مجريات الامور ـ الى القتال . ولهذا نراه عليه السلام يجمع اصحابه مرات عديدة ـ وهو في طريقه الى الكوفة اخيراً في ليلة المعركة الحاسمة ، العاشر من محرم عام ٦٠ هـ ـ ويدعوهم الى التخلي عن المجابهة القتالية بالنسبة لهم ، ويطلب منهم ان يتخذوا الليل جملاً ، ليتفرقوا عنه فان النظام الاموي لم يطلب غيره ، بصفته الوريث الشرعي للامامة ، والقائد الرائد للامة . ولكن الصفوة المؤمنة كانت تصر على ملازمته، والدفاع عن الغاية التي قام من اجلها ، ومشاركته في الفوز بالشهادة .

قال الامام الحسين (ع) مرة لأهل بيته وأصحابه ، ولعلها الليلة السابقة على مقتله :

« اما بعد : فاني لا اعلم أصحاباً أوفى ولا

خيراً من أصحابي ، ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل بيتي ، فجزاكم الله عني خيراً ، ألا واني لا أظن يوماً لنا من هؤلاء (ويشير لأهل الكوفة) إلا غدا ، إلا واني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حل ليس عليكم مني ذمام . هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا »[1] .

وكان الجواب ممن مثّل اهل بيته : لم نفعل ذلك ؟ لنبقى بعدك ، لا أرانا الله ذلك ابداً نفديك بأنفسنا ، وأموالنا ، وأهلينا ، ونقاتل معك ، حتى نرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك .

وردَّ عليه من مثّل الاصحاب ، فقال : أنحن نخلي عنك ؟ وبما نعتذر الى الله في اداء حقك . لا ـ والله ـ لا يرانا الله نفعل ذلك حتى نغمد في صدورهم ، رماحنا ، ونضربهم بسيوفنا ما ثبتت قوائمها في أيدينا ، ولو لم يكن معنا سلاح نقاتلهم به لقذفناهم بالحجارة ، والله لا نخليك

(١) المفيد ـ الارشاد : ٢١٤ .

حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك .

اما والله لو علمنا انا نقتل ، ثم نحيا ، ثم نحرق ، ثم نحيا ، ثم نذرى ، يفعل ذلك بنا سبعين مرة ما فارقناك ، حتى نلقى منا دونك ، وكيف لا نفعل ذلك ، وانما هي قتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا أنقضاء لها ابداً .[1].

هذا هو مبدأ أصحاب الحسين في الوقوف معه حتى اللحظة الاخيرة التي تجلت فيها المأساة ، والفاجعة العظيمة فقابلوها بصدر رحب ، وثبات لم يصل اليه ثبات ، وتتجلى من هذا الموقف الرسالي البطولي لهذه الصفوة المجاهدة الجوانب الايمانية التالية :

١ ـ الايمان بالقيادة :

فالانسان ـ مهما أوتي من قوة وبطولة ـ فانه لم يندفع وراء قضية ما اذا لم يكن مؤمناً بالقيادة الحكيمةالتي تقوده في هذا السبيل ، وتوصله الى

---

(١) المفيد ـ الارشاد : ٢١٤ ـ ٢١٥ .

مجال الفداء . وهذه الصفوة ـ سواء كانوا من أهل بيت الحسين ، أو اصحابه ـ فانهم آمنوا بالحسين (ع) اماماً وقائداً ولعل هذه العبارة تكفينا مؤنة الاثبات ، حين يقول مسلم بن عوسجة ـ ممثل الاصحاب ـ « والله لا نخليك حتى يعلم الله انا قد حفظنا غيبة رسوله فيك » .

٢ ـ الايمان بالقضية :

والى جانب الايمان بالقيادة ، لا بد ان يتوفر ـ ايضاً ـ الايمان بالقضية التي يعمل من اجلها ، ثورة الحسين واضحة الاهداف ، محددة الغاية ، بينّها أكثر من مرة انه خرج يطلب الاصلاح في امة الاسلام يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقول مرة اخرى : « انما ادعوكم الى سبيل الرشاد ، فمن أطاعني كان من المرشدين ، ومن عصاني كان من المهلكين » . ولما كانت اهداف الثورة واضحة جلية ، فان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يقتصر على الحسين فحسب ، انما هي فريضة واجبة

على كل مسلم ومسلمة، ومن هذا المنطلق نرى اصحابه يردون على الحسين (ع) حين يحذرهم من الاستمرار في تصميمهم بالبقاء معه : « أولسنا على الحق يا بن رسول الله ؟ فيقول لهم : نعم . فيقولوا : إذاً لا نبالي من الموت ، وقع علينا ، أم وقعنا عليه » . . .

٣ ـ الايمان بالفداء :

والركيزة الثالثة هي الاستعداد للتضحية والفداء بالنفس ، اذ من الممكن ان يكون الانسان مؤمناً بقضية ما ، كما هو مؤمن بالقيادة ، ولكنه غير مستعد نفسياً على التضحية والفداء في سبيلها ، واذا كان كذلك فما هو الجدوى من ايمانه بالقضية وبسلامة القيادة لان عملية التغيير في المجتمع تعتمد التضحية والفداء ، بالمرتبة الاولى ، واذا أحس الانسان بالاستعداد الكامل في نفسه لـذلك ، انتقلت عملية الجهاد الى مرحلة التنفيذ الفعلي ، وهو التضحية والفداء .

وأصحاب الامام الحسين (ع) كانوا على استعداد عظيم لمرحلة التنفيذ مع غض النظر عن تحقق الهدف ، او عدم تحققه ، انما الشعور بالمسؤولية وشرعية القيادة ، وصحة القضية ألزمهم كل ذلك الانتقال الى مرحلة التنفيذ في العملية الجهادية مع الحسين (ع) فنالوا الكرامة من الله سبحانه التي لا انقضاء لها ابداً ، حيث توجهم بـ« الشهادة » قال عز وجل : ﴿ فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة ﴾[1]

ان هذا التصميم الايماني تجلى واضحاً من هذه الصفوة حينما رد ممثلهم على الامام الحسين (ع) وهو يطلب منهم الابتعاد عن المأساة ، ولا حرج لهم منه ، ولا ذمام ـ يقول : « والله يا بن رسول الله ، لا نفارقك ابداً ، ولكن نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ، ونرد موردك ، فقبح الله العيش بعدك . » .

ومثل هذا كثير ورد على لسان اصحاب

---

(١) سورة آية :

الحسين واحداً واحداً ، وكلهم لسان صدق ، ورمز فداء ، يضيق بنا المجال لو حاولنا ذكره ، وما مبعث هذا من صحابة الحسين ، إلا الايمان العميق الذي امتلك هذه النفوس الخيرة ، فذابت في الله ، ورسوله ، ودعوته اخلاصاً وصدقاً ، وفداءً .

كانت هذه الجوانب الايمانية الثلاثة ، هي السمة المميزة لاصحاب الحسين عليه السلام وفي تفانيهم الفذ في حركة، كان القائد يعرف مسبقاً انها لم تكن في صالحه من حيث الحسم العسكري وأنه وصحبه مقتولون لا محالة ، ولكن الحسين ، اعتمد النتيجة السياسية البعيدة المدى وما ستفرزه ثورته الرائعة ضد الباطل من مفهوم مقدس ، يغير مجرى التاريخ في حركات الشعوب المؤمنة في نضالهم البطولي من أجل العقيدة ، ودحر الطغاة والظالمين .

٣ ـ عطاء ثورة الامام الحسين (ع) :

في مساء العاشر من محرم عام ٦١هـ ، وقفت عقيلة الهاشميين زينب بنت علي (ع) وسط مصارع

آل بيت محمد ، وأصحابهم ، ضحايا العقيدة وفي وسطهم الامام الحسين ، لم يرهبها هول الفاجعة ، ولا فداحة الخطب ، وبكل صبر وثبات وقفت على جسد أخيها الحسين ، وازالت عنه بقايا السيوف وركام الرماح ، وقطع النبال ، ثم رفعت طرفه قليلاً عن الارض ، ورمقت السماء بعين ملؤها الارادة والثقة ، وقالت : « اللهم تقبل منا هذا القربان ، ففي سبيل دينك ضحى بنفسه وأهل بيته وأصحابه ». وأرجعت طرف الجسد الطاهر الى الارض ، وعادت الى الخيام . .

وبهذه العملية الفريدة من البطلة الهاشمية صفعت الجيش الاموي المحارب المزهو بنشوة النصر ، وافهمتهم ان اخاها الحسين لم يخسر المعركة ، بل ربحها سياسياً ، لان تلك التضحية كانت في سبيل الله ، ومن أجل احياء الدولة الاسلامية ، ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ (١)

(١) سورة آية :

ان ثورة الحسين ، وما أحاطها من مآسي وفواجع كانت أكثر الحوادث ، والقضايا المصيرية تفاعلاً في نفوس المسلمين ، من حين وفاة النبي (ص) الى يوم وقوعها ، ومن بعدها الى يومنا هذا ، واحسب الى ان تنتهي الدنيا ، طالما ان هناك تقييماً انسانياً في المجتمع الاسلامي ، ولأنها دخلت في الضمير الانساني كحادثة ، ومآساة ، وقضية ، واخيراً كثورة عارمة محدودة الاهداف ، كبيرة العطاء ، ذلك العطاء الذي غذى الدعوة الاسلامية قرابة أربعة عشر قرناً على صعيد الافراد ، والجماهير زخماً ايمانياً ونضالاً مستمراً يعسر حصوله في أي ثورة اخرى ، ومنذ فجر التاريخ ، ويمكن ايجاز ثماره اذ العطاء في جانبين :

الاول ـ على صعيد الافراد :

لقد كان تأثير ثورة الحسين (ع) على مستوى الافراد كبيراً للغاية ، بحيث هزت

الانسان المسلم هزاً عنيفاً ، وأيقظته من تخدير النظام الاموي ، وهيأته لتحمل الصعاب في سبيل قضيته العادلة ، والدفاع عن سلامتها ، ولعلنا لا نجانب الحقيقة لو ركزنا عطاء هذه الثورة على صعيد الافراد بالنقاط التالية :

١ ـ تقديس ثورة الحسين (ع) :

ان ثورة الامام الحسين دخلت ضمير الانسان المسلم الى حد التقديس ، ولامست مشاعر الافراد المستضعفة بما يروي ضماءها ، ويغذي احساسهابانتصار الكرامة المهدورة في ظل انظمة الجبابرة والطواغيت .

ولم يكن مبعث هذا الشعور والتقديس لهذه الثورة العاطفة المجردة ، والانفعال المؤقت لكون مفجرها حفيد الرسول الاعظم (ص) وشبل الامام علي(ع) وقرة عين فاطمة ـ ورغم ان ذلك امر لا يستهان به ـ غير أن العامل الاساس ، هو ان الانسان لاقى من عنت النظم

المنحرفة عن خط الرسالة ، واضطهادها المرهق لكل قيم الانسانية ، ما جعل الحسين قائداً فذاً ـ في نظره ـ لمجابهته الباطل ، ورائداً رفيعاً يقتدى به في مقارعة الظلم .

كما ان الحس الثوري الهادف بدأ يأخذ مجراه الايماني الى ذهن كل فرد يعيش مسؤولية رعاية المجتمع ، وسلامته من الانحراف من يوم الامام الحسين (ع)، فهي عند التقييم ، حدثت من أجل انقاذ الانسان المسلم ، واعادة الكرامة اليه .

٢ ـ غرس الروح النضالية في اعماق الانسان :

فالحسين الثائر ضد الظلم والعسف الاجتماعي ، الذي فرضه النظام الاموي علَّم الانسان كيف يجب ان يكون زاهداً بنفسه حين يجد الجد ، ويتفاقم الخطب ، وان المسؤولية الدينية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تحدد مواصفات ومؤهلات تنطبق على البعض دون الآخرين ، انما هي فريضة دينية يشترك

فيها كل المسلمين على اختلاف طبقاتهم فان هذه الفروق العرقية او الطبقية ، أو أي شيء آخر تنعدم امام فرض الله سبحانه على عباده ، ولذا نرى اصحاب الحسين ، وكل من وقف معه في يوم عاشوراء كانوا على صعيد واحد من الايمان الجهادي ، وحاربوا بمستوى واحد، يقول رجل من أهل الكوفة ، وهو يصف المحاربين مع الحسين (ع) : « ثارت علينا عصابة ايديها على مقابض سيوفها كالاسود الضارية ، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً ، وتلقي أنفسها على الموت لا تقبل الامان ، ولا ترغب في المال ، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنية ، فلو كففنا عنها رويداً ، لاقت على نفوس العساكر بحذافيرها ». ولم يكن هذا التحدي الصعب ، والانتصار على الذات من اجل المبدأ الا نتيجة صدق الشعور بالمسؤولية ، والايمان بالقيادة والتفاني في اداء الرسالة .

وعاش الانسان المسلم هذه الصورة الفذة

لمعركة الكرامة ، فكانت له غرساً لروح النضال في سبيل الحق ، وشرف كلمة الرسالة .

٣ ـ الشعور بالمسؤولية الجهادية :

ولقد أثرت نهضة الحسين (ع) بالافراد ، حيث ركزت في نفوسهم الشعور بالمسؤولية الجهادية ، انطلاقاً من القاعدة الاسلامية « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » فالحسين لم ينهض بهذه المهمة الشاقة مع قلة الناصر ، ووحشة الطريق الا لأن الباطل أخذ يتفاقم الى درجة باتت دعوة جده رسول الله (ص) ترزح من الكابوس الاموي الخطير والانحراف عن الخط الرسالي .

ان الانسان المسلم يخضع لشعور ايماني واع برسالة الاسلام ، وانه بحكم مسؤوليته العقائدية تتفاعل في اعماقه دوافع ذاتية لاداء واجباته الرسالية ، وفي مقدمتها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، باعتبارها السبيل الى مواجهة

الواقع العملي الجهادي في تثبيت المجتمع الانساني القويم على اساس من اقامة العدل ، وتحطيم الباطل ، ومهما تكن قوة الاندفاع الذاتية في الانسان الملتزم ، فانه بحاجة الى مثير وحافز يقتدى به في عملية التنفيذ ، وحيث انه في سبيل الله ، فلا بد ان يكون ذلك المثل الذي يهتدى بهديه نابعاً من روح العقيدة التي من اجلها يكافح ويجاهد ، ومن يكن غير الامام الحسين ذلك المثل الرائع الذي يقتدي به السائرون على دربه ، والمجاهدون من اجل اعلاء كلمة دين جده النبي (ص).

والحسين حين اختار طريق القوة في مواجهة الانحراف ، وهو يعلم يقيناً ان معركته مع الباطل غير متكافئة عسكرياً ، لكنه على يقين ثابت ـ ايضاً ـ ان ثورته سوف تهز الانسان وتتركه يرفض الخنوع والذل ، وقبول المواقف الاستسلامية الانهزامية ، فان عملية التغيير تفرض ثبات الروح الجهادية الى ابعد افاقها في

نفس الانسان المسلم .

هذه أهم نقاط ثورة الحسين على صعيد الافراد ، وهي على محدوديتها نراها قد انعكست اثارها على صعيد الجماهير ، بحيث افرزت نتائج ذات أثر كبير في زعزعة النظام المنحرف عن الخط الاسلامي ، وعلى امتداد التاريخ .

الثاني : على صعيد الجماهير : ـ

ولقد كان عطاء الثورة الحسينية على صعيد الجماهير كبيراً ، وكبيراً جداً ، فقد أفرزت حركات وانتفاضات مضادة للنظام المنحرف ، سواء منه الاموي ، او العباسي ، او الحكومات المتعاقبة الى يومنا هذا ، والحد نهاية الدنيا .

ولعل أبرز عطاء هذه الثورة الخالدة على المستوى الجماهيري يمكن حصره بالآتي :

١ ـ ظاهرة عقدة الذنب :

لم تمر فترة طويلة على مقتل الامام

الحسين (ع) حتى بدأ المسلمون يتحسسون هول المصاب ، وفداحة الخطب ، واخذ العذاب النفسي يتفاعل في نفوس الناس بعد ان افاقوا من موجة التخدير الاموي ، وكان أول رد فعل معاكس حصل لدى جماهير الكوفة شعورهم الشديد بالاثم والتقصير تجاه ابن بنت رسول الله (ص): وترك نصرته في مجابهته للباطل ، بما أدى الى مقتله ، وكل أهل بيته ، وأصحابه ، وتفاعل هذا الشعور الى محاولة جريئة للتخلص من « عقدة الذنب » بأية طريقة كانت ، ثم تمثلت بانتفاضة مسلحة ضد النظام الاموي ، واطلق عليها « حركة التوابين »[1] بزعامة سليمان بن صرد الخزاعي وهو صحابي جليل[2] . تقول

---

(١) - يرى الدكتور ابراهيم بيضون في كتابه (التوابون : ١٠٠) ان سبب تسمية هذه الحركة أخذت من الآية الكريمة : « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم » (البقرة - آية ٥٤) وراجع تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٥٧ .

(٢) - ابن كثير - البداية والنهاية : ٨/٢٤٧

بعض المصادر عن هذه الحركة : « كان الاتجاه العام (للحركة) يدور حول التكفير عن الذنب ، اوالمخطط الانتقامي ، الذي يمكن ان يزيل عنهم الشعور بالاثم »[٣] .

كما ان ملامح هذه الحركة تجلت بالنقاط التالية :

١ ـ الشعور بهول المأساة وفداحة الاثم .

٢ ـ الاسراع باتخاذ موقف انتقامي من المسؤولين عن مقتل الحسين ، سواء الامويين ، ام المتواطئين معهم .

٣ ـ تجسيد فكرة الاستشهاد بالتنازل عن الاملاك ، واعتزال النساء .

٤ ـ الالحاح في طلب التوبة عن طريق التضحية بالنفس .

ولم تكن حركة التوابين سعياً وراء مطلب خاص ، أو مكسب شخصي ، انما كان القائمون بها طلاب قضية عامة هدفها اولاً

---

(٣) ـ د. ابراهيم بيضون ـ التوابون : ١٠١ .

الانتقام للحسين (ع)، وثانياً ازاحة الامويين من السلطة ، وثالثاً تنفيذ مبدأ عام هو الاسلام ، وكان بنظرهم السكوت عن ذلك وتخليهم عنه يعتبر خيانة لقضيتهم وتخلياً عن حق شرعي ، وخرقاً لعهد إلهي [1].

وفي عام ٦٥ للهجرة انتفضت هذه الحركة ، وأعلنت العصيان المسلح على النظام الاموي ، وخرجت من محتواها التخطيطي الى مرحلة التنفيذ الحاسم ، وتوجهوا الى كربلاء حيث مرقد الامام الحسين ، يطلبون منه العفو عن تخاذلهم في نصرة الحق ، ومن هناك انطلقت الحركة في انتفاضتها المسلحة ، وتوجهوا الى الحرب ، ودارت رحى الحرب سجالاً ، رغم عدم التكافؤ بين العسكرين فقد ذكر ان الجيش الاموي بلغ ستين الفاً[1] في حين لم يتجاوز

---

(١) - د. بيضون - التوابون : ١٠٤ - ١٠٦.

(٢) - د. بيضون - المصدر السابق : ١٥ عن تاريخ خليفة : ٣٣١/١.

جيش التوابين العشرة آلاف مقاتل ، والاختلال في توازن القوى بين الجيشين : الاموي والتوابي ، ادى الى اخفاق الحركة عسكرياً ، رغم الحماس ، والصمود البطولي التوابي .

٢ ـ حركات وانتفاضات مضادة للانظمة المنحرفة :

ومع ان حركة التوابين منيت بالاخفاق العسكري ، لكنها كانت بمثابة الشرارة التي اندلعت في وجه الحكم الاموي ، فقد بدأت الحركات السياسية تستعد لخوض معارك الانتقام للحسين ، وخاصة في العراق ، ولعل من أبرزها في العهد الاموي ، حركتان :

أ ـ حركة المختار بن ابي عبيدة الثقفي وقد خرج طالباً الثأر للحسين (ع) وتمكن من ازاحة النظام الاموي من الكوفة بعد الاستيلاء عليها ، وأعلن حكومة اسلامية تستنير بهدى آل البيت من (٦٦ ـ ٦٧ هـ) وقتل أغلب قتلة

الامام الحسين الرئيسيين، أمثال :عمربن سعد،وشمر بن ذي الجوشن وغيرهما ، وأنضم اليه عدد كبير من القادة الذين عرفوا برفضهم للحكم الاموي ، وعندما انتصر المختار ، وقتل قتلة الحسين سجد لله شكراً وقال : « والله لو قتلت بالحسين ثلثي قريش ما وفوا بأنملة من أنامله »[1].

ب ـ حركة زيد بن علي بن الحسين (ع) وقد قادها في وسط العهد الاموي ، وكان لا زال في اوج سلطته .

عندما انتهى حكم المختار على يد عبد الله بن الزبير ، بعد ان استولى على العراق تمكن النظام الاموي من اعادةالعراق الى حكمه ، وفي عام (١٢١ هـ) خرج الثائر العلوي زيد بن علي بن الحسين على الحكم الاموي ، واعلن انه خرج على بني امية الذين

(١) - ابن طباطبا ـ تاريخ الفخري : ٨٩.

قتلوا جده الحسين (ع)، ورغم ان الحركة كانت قوية وعنيفة ، واستقطبت جماهيراً غفيرة لكون الحسين (ع) الاصلاحية رمزاً للحق ، والكرامة والشرف والعقيدة ، وبقيت في شعاعها الرائع طيلة هذه القرون الطويلة ، تستمد فجرها من دم الحسين (ع)، وترتكز في ديمومتها على صفاء ايمان آل بيت محمد العظيم .

رابعاً ـ نحن وثورة الحسين :

وبعد هذا كله ، فقد عرفنا ان ثورة الامام ابي الشهداء الحسين (ع) هي من اجل نصرة الحق ودحض الباطل . وان هذا الواجب الديني لم يتقيد بزمان ومكان محددين كما لم يفرض على شخص دون شخص انما الحسين عليه السلام ـ وهو القدوة الصالحة ـ كان القائد والرائد الذي أفتتح مسيرة الفداء بالاسلوب الفريد .

ولقد مارس عملية التغيير من قبله جده الرسول وأبوه الامام ، وأخوه الحسن ، ولكن

الحسين كان فريداً في ممارسته لعملية الاصلاح ، ضد الظلم والحكام المنحرفين ، ولهذا بقي رمزاً للكفاح العقائدي ، لم تخمد جذوته الايام ، ولا ملت حديثه الاسماع ، ولا جزعت العيون من البكاء عليه .

والزمن الذي نعيشه اليوم لا يختلف عما مضى في شيء ، فالباطل فرض سلطانه في الساحة الاسلامية ، والانحراف عن خط الاسلام شعار الحاكمين في المجتمع الاسلامي . والحكم الاستبدادي الذي كان مثلاً في العهود السابقة ، لا زال المسلمون يعانون من جوره ، وطغيانه ، فأين الحسين ؟ وأين اصحاب الحسين ؟ . .

لا بد أن ننظر القضية من جانب عقائدي بعيداً عن العاطفة ، ونحاسب انفسنا على أساس من ايماننا بالحسين كقائد ورائد ، ونجتهد في ان نترسم خطاه ، ونهتدي بهديه ونتفاعل مع مقتضيات المبدأ والعقيدة ، والاحساس الصادق

قائدها حفيد الامام الحسين (ع)، لكن النظام الاموي القى بثقله عليها، حتى اجتثها، وقتل قائدها زيد شر قتلة، ثم صلب وأحرق عام ١٢٢ هـ، وبعد برهة وجيزة تحرك يحيى بن الشهيد زيد، واعلن الانتفاضة ضد الامويين في المدائن ثم هرب الى ايران.، وقتل فيها، وكان في طريقه للزحف على العراق عام ١٢٥ هـ.

وتوالت الحركات العلوية، وانتفاضاتهم للاخذ بالثأر لدم الحسين الشهيد وإقتلاع النظام الاموي واخيراً تم إسقاطه عام ١٣٢هـ، واستولى العباسيون على الحكم، وقد انحرفوا كما انحرف من سبقهم عن خط الاسلام وامعنوا في مطاردة المخلصين المسلمين، وعمدوا الى قتلهم، واستباحة اعراضهم ونهب اموالهم، لانهم لمسوا فيهم الارادة والقوة للمعارضة، والخطر الحقيقي على مراكزهم وسلطاتهم، ولكن كل هذا ما كان يمنع الثائرين من التحرك للاستيلاء على السلطة، باسم الحكم لآل

محمد ، والثأر للحسين .

٣ ـ الثورة الحسينية أمل الجماهير :

ولقد دخلت الثورة الحسينية ضمير الاجيال طيلة اربعة عشر قرناً ، تحرك الجماهير وتبعث الحماس البطولي ، وتغرق الدنيا شعوراً وثاباً نحو الحرية والكرامة ، على كل المستويات الفكرية والنضالية ، ويعيش المستضعفون مضمونها السياسي والاجتماعي ويخشى المتجبرون الحاكمون جماهيريتها وقوتها الضاغطة على التحرر من العبودية والاذلال .

كما لم تقتصر اثارها على طائفة دون طائفة ، انما مثلت العقيدة الاسلامية بكل أبعادها ورسمت التضحية البطولية في اجلى مظاهرها ، فكانت سلم كل ثائر ، حاول ان يتسلق مجد النضال ، لانها اصبحت حقيقة جهادية يقتدى بها في ميدان النصر الجهادي .

وهكذا اصبحت نهضة الامام

بالقضية ، وعندها نصل الى مرتبة اصحاب الحسين ايماناً واخلاصاً وتضحية وفداء .

اننا في سبيل اداء فريضة الله سبحانه في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاصلاح المطلوب في المجتمع الاسلامي . لا بد ان نتصف بما يلي :

١ ـ الاخلاص للعقيدة :

وهو المبدأ الاساسي للانسان الملتزم في حياته الرسالية ، وعمله الجهادي باعتبار ان العمل المبدئي له ميزته على غيره من الاعمال ، وان توفر فيها الاخلاص ، فالعامل الاجير قد يخلص في مهمته ، والمكلف في مهمة ما من جهة متسلطة قد يؤديها خير اداء ، وهكذا الا ان المخلص لعقيدته عندما يندفع لاداء مهمة تفرضها عليه عقيدته ، يقترن الاداء بجزاء من الله سبحانه ، جزاء يعلو جزاء الانسان ولا يرقى اليه اعتبار .

٢ ـ الاخلاص للقضية :

والانسان الذي عمل من غير ايمان بالقضية التي يتفانى من اجلها ، يكون آلياً يتحرك من غير ارادته ، وهو بهذا لا يحقق الهدف لغاية ، انما الدافع العملي الآلي يوصله لما يحدد له ، وهذه ليست صفة المسلم الملتزم .

ولعلنا لو القينا نظرة على اصحاب الامام الحسين (ع) والموت يطوقهم من كل جوانبهم ، وهم يستقبلونه غير هيابين به ، عرفنا ان هؤلاء عرفوا القضية التي من اجلها يكافحون وتفاعلوا معها بعقيدة وايمان ، فكان استعدادهم للفناء من اجلها كبيراً ، وبذلوا انفسهم لها بسخاء .

٣ ـ الاخلاص في التضحية :

وهو المبدأ الثالث الذي لا بد من التحلي به ، فقد تكون تضحية من انسان في قضية ما ، ولكنها عارية عن مبدئية الفداء. كما هو الحال مع الحكومات المنحرفة فهي تسوق الناس الى الحرب

كرهاً وفرضاً وقد يضحي الجندي فيها بنفسه ، غير انه غير مخلص في هذه التضحية لعدم ايمانه بها ومن هنا نستطيع ان نتلمس اخلاص اصحاب الامام الحسين في تضحيتهم يوم عاشوراء لان ذلك كان نابعاً عن اخلاص في العقيدة واخلاص في القضية ، ففازوا بأعلى مراتب الشهادة ، قال الله : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون ﴾ .

واذا اتصفنا بهذه السمات الثلاث تمكنا ان نصل الى درجة اصحاب الحسين وأدينا رسالة دعوتنا الخالدة ، وليس ذلك بعسير علينا ، ومن الله سبحانه التوفيق .

طبع على مطابع

دار الزهراء

للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان

ص.ب ٩٣٧٠ ت.م : ٨١٥٦٨٦